

تمثيلات المرأة في الخطاب السينمائي الجزائري: قراءة تحليلية نقدية لعينة من الأفلام السينمائية

Women stereotypes in cinematic Algerian discourse :“Analytical review”

أوكسل مريم¹*

¹ مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة صالح بوبنيدر قسنطينة³، meriemouksel@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/06/01	تاريخ القبول: 2021/02/19	تاريخ الاستلام: 2020/10/25
-------------------------	--------------------------	----------------------------

ملخص:

تبحث هذه المقالة في تمثيلات المرأة في الخطاب السينمائي الجزائري، من خلال قراءة نقدية تحليلية للأفلام السينمائية الجزائرية التي تناولت موضوع المرأة وقضاياها داخل المجتمع الجزائري عبر فترات زمنية مختلفة، بداية بالسينما الثورية وسينما السبعينيات إلى سينما العشرية السوداء وصولاً للسينما المعاصرة، ويظهر جلياً من خلال التحليل المقدم، أن هناك تبايناً في الصورة التي يتم تسويقها عن المرأة واهتماماتها وقضاياها في المجتمع لكن السمة الغالبة في هذه الصور، هي تلك النمطية التي توصف بها المرأة ودورها ومكانتها في المجتمع، فهي لا تكاد تخرج عن النموذج المضطهد الخاضع للرجل.

كلمات مفتاحية: الخطاب السينمائي، الأفلام السينمائية، صورة المرأة، التمثيلات.

Abstract:

This article examines the representations of women in the Algerian cinematic discourse. It follows a critical analysis method to the Algerian cinematic films that dealt with the issue of women and their issues within the Algerian society throughout different periods of time. It starts with revolutionary cinema and the cinema of the seventies to the cinema of the black decade up to contemporary cinema, and is evident through the present analysis that there is a discrepancy in the marketed image of women and their interests and issues in society. However, the dominant feature in these images is the stereotypes that describe women and their role and position in society, as they are hardly deviating from the oppressed model subject to men

Keywords: Cinematic discourse; woman's image ;Cinema films; stereotype.

1. مقدمة:

تملك السينما اليوم القدرة الفائقة على تشكيل الوعي الاجتماعي للأفراد وخلق الصور الذهنية وترسيخ التمثيلات المختلفة التي يؤمن بها صانعو الأفلام السينمائية والتي تخدم مصالحهم الإيديولوجية والفكرية، كما تسعى إلى تغيير العادات والسلوكيات والقيم الاجتماعية المختلفة، بما تملكه من إمكانيات جمالية تركزت بالأساس على فنون الحركة والصوت، المؤثرات السمعية والبصرية، والموسيقى، وتقنيات التصوير ثلاثية الأبعاد وتقنيات سينمائية مختلفة جعلتها الوسيلة الاتصالية الأكثر نجاعة في خلق الصور وتوجيه الآراء وتكوين المعتقدات.

"الفيلم السينمائي يعد وثيقة اجتماعية مهمة تساهم في رسم قوانين حركة وديناميكية المجتمع، وفهم طبيعة العلاقة الجدلية بين الإنسان والمجتمع، إذ لم يعد الفيلم يضع وجهها لوجه ظواهر عالم متجانس من الموضوعات، بل عناصر من الواقع غير متجانسة تماما، خاصة وأن ميكانيزمات الهوية الاجتماعية قد أصبحت تتحدد بشكل متسرع: كل علامة أو أي عنصر يدخل في تشكيل الصورة"¹ ويسهم في تحديد ملامح الأشياء والمفاهيم والأشخاص الذين يتم إدراك تمثيلاتهم في إطار كلي تتداخل فيه جماليات الصورة، مع جماليات بناء في المعنى الفيلم. لتؤدي في الأخير إلى توليفة من الصور الذهنية والنمطية والتمثيلات الفكرية التي يسوق لها الفيلم، ويسعى لطرحها في الأفكار التي بروج لها وتعد المرأة من أهم الأنساق الاجتماعية التي لطالما شكلت قضاياها محور اهتمام السينما العالمية، فقد قدمت هذه الأخيرة العديد من الأفلام التي تمحور حول المرأة ووضعيتها داخل المجتمع، واختلفت طرق تناولها من ثقافة لأخرى ومن مجتمع لآخر بل وأكثر من ذلك من سينمائي لآخر.

أما بالنسبة للسينما الجزائرية فقد عالجت منذ نشأتها إلى موضوع المرأة من خلال رؤى متفاوتة من مخرج إلى آخر، متأرجحة في ذلك بين ما هو فني وجمالي وما هو تجاري ومادي. وبين ما هو سلبي وما هو إيجابي. واهتم الفن السابع في الجزائر منذ بداياته الأولى بالمواضيع المرتبطة بوضعية المرأة من خلال كم هائل من الأفلام ولم تقتصر السينما الجزائرية في تناولها لقضايا المرأة على المخرجين الرجال فحسب، بل امتد للسينمائيات حيث تألفت المخرجة الجزائرية أيضا في طرح المواضيع الخاصة المرأة.² وبناء على ما سبق ذكره من خلال قدرة السينما على خلق وترسيخ التمثيلات المختلفة، وتعدد الأفلام السينمائية الجزائرية التي تناولت موضوع المرأة، جاء هذا المقال لبحث في تمثيلات المرأة في السينما الجزائرية من خلال الإجابة على التساؤلات

الآتية: - ما هي الصورة المقدمة عن المرأة الجزائرية في السينما الجزائرية؟

- ما هي السمات التي جسدت بها شخصية المرأة في الأفلام السينمائية الجزائرية؟

- ما هي الملامح العامة للمرأة الجزائرية في الأفلام السينمائية الجزائرية؟

2- مفاهيم أساسية:

2-1- **الفيلم السينمائي:** يعرف بأنه "الشريط الذي يتم تصويره عن طريق جهاز التصوير السينمائي ويتضمن الموضوع الذي يعرض بواسطة جهاز العرض، وقد يكون بالأبيض والأسود، كما قد يكون بالألوان، ويطلق مصطلح الفيلم على المنتج السينماتوغرافي المجسد على الشاشة في قاعة العرض".³

2-2- **التمثيلات:** ويعرف فريدريك لوبارون (Frédéric lebaron) في معجمه التمثيلات، الاجتماعية بأنها الصورة الذهنية لظاهرة ما، وتدرس من طرف علم النفس الاجتماعي خصوصا.⁴ ويعرف التمثيل على أنه: طريقة عامة في تنظيم معرفتنا بالواقع وإعطاء التفسيرات له وهو يعتمد على جهاز نفسي بشري يستمد معطياته من الواقع انطلاقا من المعلومات التي يتلقاها الفرد من عدة مصادر كحواس والخبرات التي تجتمع لديه وتخترلها ذاكرته ومن المعلومات التي يستقيها عن طريق العلاقات التي يربطها بغيره من الأفراد والجماعات، ومجموع هذه الخبرات أو المعلومات تصنف وتنظم في شكل نسق ذهني عام ومتماسك، بكيفية تسمح للفرد بفهم العالم المحيط به أو أحق محتوياته مما يجعل الفرد قادرا على التأثير فيه والتكيف معه. ونقصد بالتمثيلات في هذه الدراسة: التصورات الذهنية التي تشكلها الأفلام السينمائية عن المرأة الجزائرية، من خلال السمات والملاح العامة التي تجسدها شخصية المرأة في الفيلم.⁵

2-3- **الخطاب السينمائي:** فهو تفاعل مجموعة من العناصر اللغوية الخاصة بالسينما من شريط الصوت وشريط الصورة مع العناصر السياقية التي ورد فيها الفيلم كل هذا تحت تأثير العامل الإيديولوجي القائم على الخطاب الفيلم (المخرج بخلفيته على سبيل المثال لا الحصر). فالخطاب السينمائي غني، فضفاض، متعدد القراءة و التأويل أكثر من الخطابات الأخرى.⁶

3. تمثيلات المرأة في سينما الستينيات (السينما الثورية):

اتجهت السينما الجزائرية في أفلامها الأولى عقب الاستقلال إلى تخليد وتمجيد الثورة التحريرية الكبرى، حيث ركزت جل الأفلام التي عكبت الاستقلال على موضوع واحد فقط تمثل في الثورة التحريرية، واختلفت رؤى وتوجهات المخرجين للثورة والقضايا التي طرحتها إلا أن القاسم المشترك بين هذه الأفلام هو تسليط الضوء على بطولات الشعب الجزائري، كما تطرقت إلى وضعية المرأة الجزائرية ومشاركتها في الثورة التحريرية، في صورة عامة يغلب عليها طابع الشمولية، بالتركيز على القضية (الثورة) على حساب الشخصية (البطل)، وتكريس هيمنة الرجل المجاهد على حساب المرأة عنصر مساعد غير رئيسي.

3-1- فيلم ربح الأوراس :



يعد فيلم الأوراس أحد أهم الأفلام الثورية في الجزائرية، التي تناولت كفاح المرأة الجزائرية من خلال قصة عائلة جزائرية مكونة من "الأب" والأم "والابن"، يستشهد الأب في إثر أحد التفجيرات التي نفذتها قوات الاحتلال الفرنسي في القرية، لتكتمل قصة الفيلم مع الأم- كلثوم- التي تحرص على رعاية ابنها الوحيد وتوفير المئونة ومساعدة المجاهدين في الجبال، في حين أن الابن يزاول عمله في النهار وينظم إلى صفوف المجاهدين ليلا لتوفير المساعدة والدعم لهم، إلا أن يكتشف أمر الابن ويحاصر في منزله، ليلقى عليه القبض من

طرف قوات الاحتلال، ومن هنا تبدأ رحلة معاناة الأم في البحث عن ابنها منتقلة من قرية لأخرى ومن سجن لأخر، تسير الأم حافية القدمين حاملة لدجاجة بيضاء تجوب المعتقلات الواحد تلو الآخر، وبعد رحلة بحث عصبية تتمكن الأم من رؤية ابنها للمرة الأخيرة، حيث يستشهد ابنها الوحيد أمام عينيها وفي محاولتها الوصول لأبنها تخترق الأم الأسلاك الشائكة المكهربة التي ترديها شهيدة لتلتحق بزوجها وابنها.⁷

"شارك هذا الفيلم في مهرجان كان السينمائي في دورة 1967 وكاد يحصل على السعفة الذهبية غير أن المخرج السنغالي عصمان، لم يصوت لأسباب تبقى مجهولة كما صرح لخضر حاميّة في الشريط الوثائقي الذي أعد خصيصا حول الممثلة التي أدت دور كلثوم في الفيلم، ولم يفزر الفيلم بالسعفة الذهبية بفارق صوت واحد لم يعطه المخرج السنغالي للفيلم.⁸

✓ -التحليل النقدي لصورة المرأة في فيلم ربح الأوراس: جسدت شخصية المرأة الجزائرية في فيلم "ربح الأوراس" من خلال النموذج واحدة في الفيلم وهو كالاتي:

*الأم الجزائرية: ظهرت المرأة الجزائرية في فيلم "ربح الأوراس" من خلال الشخصية الرئيسية في الفيلم وهي الأم -كلثوم- التي تفقد زوجها إثر كمين فرنسي ليعتقل ابنها المجاهد مرة أخرى وتتطلق في رحلة تبحث فيها عن ابنها المعتقل من طرف الاستعمار الفرنسي، وقد أبرز الفيلم من خلال شخصية الأم كلثوم نموذج لمشاركة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية الكبرى، وذلك من خلال تحضير الطعام و تقديم المئونة للمجاهدين ومساعدتهم على الاختباء، لكنه ركز بصورة أدق على معاناة المرأة الجزائرية إبان الثورة التحريرية من بطش الاستعمار الفرنسي من خلال الأم كلثوم، المرأة الريفية الضعيفة العفوية التي لا حول ولا قوة لها، لا تملك سوى البكاء والحسرة على الوضع الذي تعيشه دون أن يطرح الفيلم نماذج نسائية قوية جابهت الاستعمار الفرنسي في

ذلك الحين. ورغم الدور البطولي الذي أسند للمرأة في الفيلم حيث حضرت المرأة في أغلب مشاهد فيلم "ريح الأوراس"، إلا أن هذا الدور لا يعكس بالضرورة صورة إيجابية عنها، فالأم استسلمت للحزن وانتهى بها الأمر إلى الاصطدام بحاجز مكهرب، فكانت الشخصية النسائية في هذا الفيلم ضعيفة ولا تساهم في تحريك الأحداث، بل تقتصر دورها على البكاء والحزن على ابنها المعتقل.

-كما ظهرت في الفيلم شخصيات نسائية أخرى بصورة ثانوية جسدت هي الأخرى معاناة المرأة الجزائرية من بطش الاستعمار الفرنسي، من خلال ابنة العجوز التي استضافت الأم كلثوم في بيتها، والتي بدت وهي تعاني الحزن والظلم إثر اعتقال زوجها منذ أشهر، وكذا مجموع النساء اللاتي يقبعن أمام مركز الشرطة الفرنسي لتقصي أخبار أهاليهم من المعتقلين.

✓ -الملاحم العامة للمرأة في فيلم ريح الأوراس:

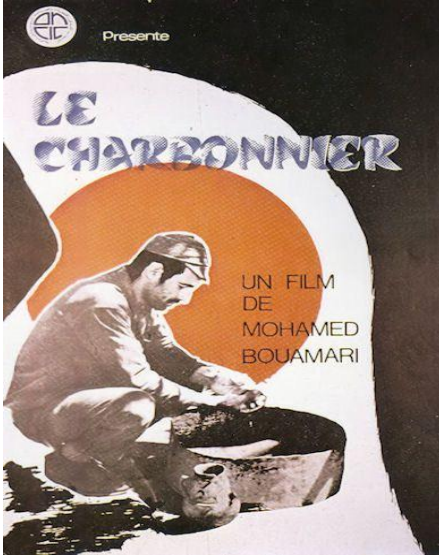
برزت المرأة الجزائرية في فيلم ريح الأوراس من خلال الأم الجزائرية العجوز الطاعنة في السن، والمحافظة على زيها التقليدي الجزائري -قندورة ووشاح للرأس- ترمز للهوية والأصالة، مزينة بأوشام مختلفة على وجهها تعبر عن هويتها الأصلية، نشيطة تقاوم الحياة الصعبة في الريف، تحرص على أداء واجباتها المنزلية، لكنها امرأة ضعيفة مستسلمة تؤمن بالخرافات والشعوذة.

✓ السمات التي عكستها شخصية المرأة في فيلم ريح الأوراس:

ظهرت شخصية المرأة في الفيلم بقيم إيجابية في مجلها من خلال الشخصيات النسائية في الفيلم المركزة على الأم كلثوم وبصفة عارضة المرأة التي استضافت كلثوم في بيتها، والتي تحمل قيم تدل على حب الوطن، التضحية والصبر، الحب والسلام من خلال الدجاجة التي تحملها الأم لتسترجع بها حرية ابنها، كرم الضيافة والتي ترمز إلى مقومات الشخصية الجزائرية، كما طرح بعض السمات السلبية التي تعكس بساطة تفكير الأم كلثوم التي تؤمن بالشعوذة والخرافات الدخيلة على المجتمع الجزائري والتي تعتبر من مخلفات الاستعمار الفرنسي.

4- تمثيلات المرأة في سينما السبعينات (السينما الجديدة):

السينما الجديدة هي ترجمة حرفية عن اللغة الفرنسية وورد ذكر هذا المصطلح لأول مرة لدى المخرج محمد بوعماري عام 1972 ، ويراد به الدلالة على السينما الجزائرية التي واكبت الإصلاح السياسي في الجزائر، وأدى ذلك إلى التعبير عن القضايا المصاحبة للإصلاح في المجتمع الجزائري الجديد، فكان فيلم "الفحام" 1972 تعبيراً حرفياً عن التوجهات الجديدة في البلاد.⁹



4-1 فيلم "الفحام":

طرح الفيلم معاناة الريفيين في القرى الجزائرية، وفي نفس الوقت معاناة المرأة والفيلم يصرح بالحلول التي ستغير من مجرى حياة الريفيين في المجتمع الجزائري،¹⁰ هو يؤرخ لمرحلة تاريخية مهمة في الجزائر تميزت بالتحويلات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى في كل الميادين، حيث حاول محمد بوعماري التعبير عنها في فيلمه من خلال عرض تفاصيل الحياة اليومية لبطل الفيلم بلقاسم، "الشاب المتزوج الذي يعيش مع أسرته ظروف معيشية قاهرة، من جهل وبطالة وفقر مدقع، محاولا مررا وتكرار

تحسين عمله، لتوفير متطلبات الحياة اليومية لأفراد أسرته لكن دون جدوى، من خلال عمله كفحام (تحويل الحطب إلى الفحم وبيعه في الأسواق)، ومع إخفاق بلقاسم في كل مرة في توفير المال يلجأ إلى تعنيف زوجته التي تعمل هي الأخرى جاهدة في صنع الأواني الفخارية وبيعها من أجل مساعدة زوجها.

تتعدد الأمور وتزداد سوءا أكثر أمام عائلة بلقاسم بعد دخول الغاز وتعميمه وتخلي الناس عن الفحم وتوجههم لاقتناء الغاز، وبعد تعب الزوجة من صناعة الفخار وبيعه، يقرر بلقاسم الذهاب إلى العاصمة للبحث عن عمل جديد فينتجه إلى أحد رفقاء الكفاح القدامى الذي يجده قد تقلد منصبا مهما في الإدارة ليطلب منه مساعدته في إيجاد عمل لكن هذا الأخير يتماطل عليه ويخذله ويرفض مد يد المساعدة له، و بعد فشل بلقاسم في إيجاد عمل في العاصمة يقرر تبني نهج الثورة الزراعية، وعند عودته إلى منزله يفاجئ بخروج زوجته للعمل في المصنع المجاور للقرية.

وسط صراع نفسي اجتماعي كبير يعيشه بلقاسم من ضغوط شيوخ القرية و تحريضهم للتخلي عن زوجته بعد خروجها للعمل، وبين ضرورة إيجاد عمل مناسب للأولاد، يقرر بلقاسم في الأخير ترك زوجته تخرج إلى العمل ويأمرها بنزع الحايك الذي ترتديه أمام أعين سكان القرية.¹¹

✓ **التحليل النقدي لصورة المرأة من خلال فيلم الفحام:** سوق الفيلم لصور متباينة عن المرأة الجزائرية، وردها كآلاتي:

***الزوجة الخاضعة:** عالج الفيلم موضوع المرأة ووضعيتها داخل المجتمع الجزائري الذكوري، ودعى إلى ضرورة تحرر المرأة من العادات والتقاليد، وتجسد ذلك بصورة واضحة في المشهد الأخير أين نزعت زوجة بلقاسم الحايك الذي كانت ترتديه في إشارة من المخرج إلى الثورة ضد العادات والتقاليد، وقد صورت شخصية المرأة في الفيلم من خلال -زوجة بلقاسم- لتقدم نموذج للمرأة الريفية التي ينحصر تواجدها في الفضاء الداخلي للمنزل،

تقوم برعاية البيت وتربية الأطفال وإعانة الزوج عن طريق الحرفة اليدوية التي تمتنعها، تتعرض للعنف من طرف زوجها بلقاسم دون وجه حق، لمجرد ضغوطات ومكبوتات يعاني منها بسبب الظروف المعيشية الصعبة التي يمر بها، إلا أن شخصية زوجة بلقاسم تتطور وتتغير من الزوجة الخاضعة إلى المرأة العاملة المتحررة.

***المرأة المتحررة العاملة:** يطرح الفيلم نموذج آخر للمرأة المتحررة التي تسعى إلى تحسين أوضاعها المعيشية، من خلال التحول الذي طرأ على شخصية زوجة بلقاسم حين قررت الخروج من المنزل والعمل في المصنع، فتتحرر من القيود الاجتماعية المفروضة عليها من المجتمع الذكوري المتعصب.

✓ الملامح العامة للمرأة في فيلم "الفحام":

-ظهرت المرأة في الفيلم بلباس تقليدي خاص في المنزل تمثل في فستان طويل وخمار للرأس، والحباك الذي ترتديه عند خروجها منه، تترنن بحلي فضية.

✓ السمات التي عكست شخصية المرأة في فيلم "الفحام":

ظهرت المرأة في الفيلم بقيم وسمات إيجابية تدل على القوة والصبر، وقدرة على تحمل الظروف المعيشية الصعبة، طاعة الزوج، تسعى جاهدة لرعاية أطفالها وتحسين وضعها المعيشي.

2-4 فيلم "ريح الجنوب":

الفيلم مقتبس من رواية عبد الحميد بن هدوقة سنة 1975، يتناول قصة نفيصة الطالبة الثانوية التي تدرس بالجزائر، تعود إلى قريتها لقضاء عطلة الصيف مع أهلها فيخبرها والدها بضرورة زواجها من شيخ البلدية "سي مالك"، غير أنها ترفض وتستجد بأمرها، لكن هذه الأخيرة ، تخبرها بأن عليها طاعة والدها، فالكلمة الأولى والأخيرة له، ثم تشكي همها إلى العجوز "رحمة" باعتبارها ذات تأثير كبير على سكان القرية فتعلمها هي الأخرى بضرورة الموافقة على هذا



الزواج، خاصة وأن "سي مالك" تكن له العجوز رحمة محبة كبيرة كونه كان مجاهدا أثناء الحرب التحريرية، أمام هذه المشكلة لا تجد هذه الفتاة حلا سوى الهرب من المنزل، والعودة إلى خالتها بالعاصمة، ليلة هروبها وأثناء توغلها داخل الغابة يقع ل نفيصة حادث حيث تلدغ من طرف ثعبان، في نفس اللحظة تلتقي مع رابح الراعي، الذي يقوم بإسعافها ويأخذها إلى بيته، أين تقوم أمه البكماء بمعالجتها، أثناء مكوث نفيصة في بيت رابح، تقوم بتحريره من الأفكار التقليدية التي بذهنه و تقنعه بأن يذهب معها للمدينة أين تنتظره الآفاق الواعدة التي تقترحها تعاونيات الثورة الزراعية و فعلا يهرب الشابان و يلتحقان بالحافلة المتوجهة للعاصمة وينتهي الفيلم بمشهد

ملاحقة الأب ابن القاضي لهما وهو ممتطيا جواده ورافعا سلاحه للثأر لشرفه لكن الجواد لا يستطيع اللحاق بالحاقل.¹²

✓ التحليل النقدي لصورة المرأة في الفيلم ربح الجنوب:

- طرح فيلم ربح الجنوب نموذج المرأة من خلال عدة شخصيات نسائية في الفيلم، نفيسة، والدتها، العجوز رحمة، والدة رابع، وشكل الاختلاف الفكري الكبير بين جيلين قديم جديد محور قصة الفيلم حيث يمكن رصد الصور التي ظهرت بها المرأة في الفيلم كالآتي:

* **المرأة المتمردة:** والتي جسدتها نفيسة الطالبة المتمردة التي تعكس جيل ما بعد الاستقلال تؤمن بالحرية والثورة الاجتماعية تعيش دوامة من الصراعات و القلق والحزن، بين العيش في المدينة الحضرية التي تدرسها بها و التي تملك فيها الحرية والراحة، وبين القرية التي تعيش فيها أسرتها، هذه القرية المحافظة التقليدية التي لازلت تعيش في كنف القوانين العرفية التقليدية المقيدة لحرية المرأة و التي تجعلها تابعة للرجل، هذه القوانين والأعراف الاجتماعية التي ترفض نفيسة الخضوع لها فهي تقيد حريتها ولا تضمن لها العيش الكريم وهو ما أكدته حوارها مع والدتها: "الذل لي عشتيه نت مانعشوش أنا"، فتثور على التقاليد وترفض إجبارها على الزواج من مسؤول القرية لكن وبالرغم من مقومات الشخصية القوية التي تمتاز بها نفيسة كفتاة قوية متعلمة إلا أنها لم تستطع مواجهة، وفضلت الهرب من هذا الواقع، الذي رفضته ولا تريد الانتماء إليه.

- نفسية لم تستطع الهروب لوحدها إلا بعد مساعدة الراعي رابع لها ما يدل على ضرورة تواجد الرجل في حياة المرأة.

* **المرأة المناضلة المثالية:** كما جسد الفيلم شخصية المرأة المناضلة من خلال العجوز رحمة، التي ترمز للمرأة المناضلة المكافحة الحكيمة، كبيرة القرية التي تقدم النصح والمساعدة للجميع فهي تعمل جاهدة لإسعاد أهل القرية، رغم ما تعانيه من وحدة و أوجاع فراق زوجها، لكن هذه المعاناة كانت تخفيها عن أهل القرية، كما عكست شخصية العجوز رحمة المرأة الجزائرية المحبة الوفية لزوجها رغم 20 سنة من الفراق إلا أنها لازالت تزوره كل جمعة. وفائها لزوجها. رمز لجيل الثورة الذي يحمل قيما إيجابية.

* **المرأة الخاضعة:** من خلال شخصية "خيرة" والددة نفيسة، المرأة التي لا تتناقش زوجها في أي قرار يتخذه وتخضع له مباشرة، تتعرض للإهانة من قبل زوجها، وتعترف بقدرة زوجها وتفوقه وتقر بضعفها وخضوعها وهو ماجسده حوارها مع زوجها: "نت تعرف خير مني، اسمحلي تعرف كل شيء"، وهي نموذج للمرأة الصبورة ربت البيت وأم الحنونة على أولادها لا تستطيع مساعدتهم ولا تملك سوى البكاء.

***الأم:** من خلال والدته رابح العجوز الجميلة البكماء، تقاوم الحياة الصعبة في القرية، قضت حياتها في رعاية ولدها الوحيد رابح، نشيطة في تأدية الأشغال المنزلية المختلفة، رمز للمرأة الشجاعة التي لم تستسلم لا للفقر والحرمان ولا لوضعيتها الصحية، تشبه إلى حد كبير شخصية العجوز رحمة.

✓ الملامح العامة للمرأة في فيلم ربح الجنوب:

تتمتع المرأة في الفيلم ربح الجنوب بقدر من الجمال التي مثلته نفيسة، تتبع نفيسة تقاليد نساء القرية من حيث اللباس، فهي ترتدي لباسا تقليديا جزائريا، قندورة ووشاح للرأس وترتدي الحايك عند خروجها من المنزل.

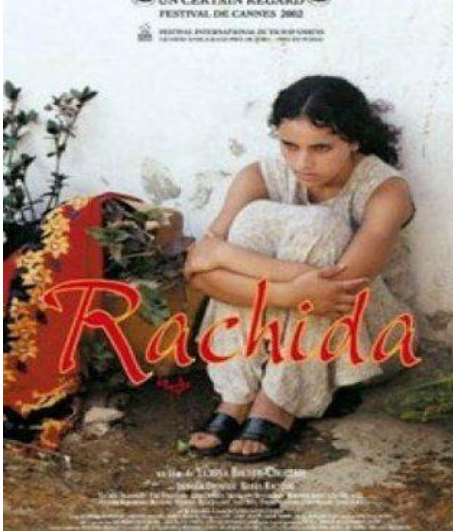
✓ سمات المرأة الجزائرية في الفيلم ربح الجنوب:

وصف المخرج في الفيلم عدة سمات إيجابية في مجملها للمرأة الجزائرية تمثلت في: سمة الحياء، حب العمل، حب الناس، النصيح والمساعدة، كما طرح بعض السمات السلبية التي مثلها من خلال ضعف خيرة والدته نفيسة، وباقي نساء القرية.

5- تمثيلات المرأة في سينما العشرية السوداء:

شكلت قضية الإرهاب وموجة العنف التي عصفت بالبلاد في بداية التسعينات، محورا أساسيا للعديد من الأفلام السينمائية الجزائرية، ولم يقتصر تناول قضية الإرهاب في السينما على المخرجين، بل امتد لعدة مخرجات، وقد برزت منهن المخرجة يمينة بشير شويخ من خلال فيلمها "رشيدة".

5-1 فيلم "رشيدة":



تعمل رشيدة مدرسة بإحدى مدارس الحي تعيش، وهي شابة الشابة المطلقة ببيت مع أمها، تنقلب حياتها رأسا على عقب حين تحولت إلى هدف لمجموعة إرهابية بدعوى أنها غير محبة، تقرر الجماعة خطفها حيث تكفل أحد أفرادها بتفجير المدرسة التي تعمل بها، لكن رشيدة تنجح رغم هذه الظروف القاسي في الحفاظ على حياتها وذلك عن طريق الفرار إلى الريف الذي وجدت به ملاذا آمنا رغم مشاكلها النفسية¹³.

✓ التحليل النقدي لصورة المرأة في فيلم رشيدة:

***المرأة المجابهة للإرهاب:** شكلت شخصية رشيدة النموذج النسائي الذي تسعى المخرجة لإبرازه وتعميمه، فرشيدة هي صورة المرأة الجزائرية القوية المتحدية للإرهاب، المعلمة المثقفة المتحررة، فقد حاولت المخرجة من خلال شخصية رشيدة تمرير العديد من الرسائل الإيديولوجية منها الدعوة لضرورة تحرير المرأة من القيود

الاجتماعية، وتغير الصورة النمطية للمرأة الجزائرية، والنظرة الاختزالية، لها التي طالما ساهمت في تعميق معاناتها ومشاكلها في المجتمع، فرشيده معلمة متحررة تتعرض للضغط من طرف جماعة إرهابية من أجل تفجير المدرسة التي تعمل بها، لكنها ترفض ذلك لأن هذا يتنافى مع مبادئها وقيمها، ما يعرضها لمحاولة اغتيال، تغادر رشيده المدينة صوب القرية باحثة عن الأمان هناك، إلا أن الوضع نفسه واشد قسوة إذ تستمر مطاردة الإرهاب ومن مضايقاتهم لها ولسكان القرية، لتكتمل فصول معاناتها بتفجير المدرسة التي تعمل بها.

رغم العنف الجسدي والنفسي الذي تعرضت له رشيده من قبل الجماعة الإرهابية، إلا أنها تتقرر في آخر مشهد في الفيلم مواصلة التحدي ومواجهة الإرهاب بسلاح العلم الذي شكل الهدف الأول للجماعات الإرهابية فأغلب التفجيرات في الفيلم تستهدف المدرسة بدرجة أولى، تظهر رشيده وسط مدرسة محطمة بالكامل لتزرع الأمل وسط مجموعة من الأطفال الناجين من الهجوم الإرهابي، لتعبر عن هذه النهاية عن قوة المرأة ودورها في المجتمع، خاصة أن المخرجة غيبت بشكل كلي دور الرجل في أحداث الفيلم، وحصرت دوره في تنفيذ الهجمات الإرهابية فقط، فتحرر المرأة وقوتها وخروجها للعمل بمثابة قوة حقيقة للمجتمع.

***المرأة المضطهدة:** طرحت المخرجة أيضا نموذجين للمرأة الجزائرية التي تخضع لسيطرة الذكورية العائلية لتبرز من خلالها المعاناة التي تفرضها القوانين العرفية الاجتماعية على المرأة، من خلال شخصية العروس التي تعرضت في المرة الأولى لعنف عائلي رمزي حين منعها والدها من الزواج من الشخص الذي تريده، وأجبرها على الزواج من شخص آخر، لتعرض مرة أخرى للعنف أكبر حين تهاجم مجموعة إرهابية عرسها وتختطفها ويتحول العرس إلى مجزرة

- كما تجسدت أيضا صورة المرأة المضطهدة من خلال المعلمة التي أبرز حوارها مع رشيده: "راني مليحة كي خلاني نخدم"، سلطة الزوج وسيطرته عليها، حيث أنها تمتنع عن أخذ صورة تذكارية مع تلاميذها خوفا منه.

- رشيده ترمز إلى المجتمع المعاصر المتحرر من خلال لباسها، أما المعلمة التي تظهر بلباس محتشم فهي ترمز إلى العالم المضطهد والمتخلف، وهنا تظهر توجهات المخرجة وانتمائها الغربية، فهي الأخرى أعطت صورة نمطية عن المرأة المتحجبة، ويظهر جليا تأثير تمويل الفيلم على تمرير خطاب الإيديولوجي يدعو إلى ضرورة تحرر المرأة وخروجها للعمل وكذا التخلص من بعض القيم الدينية المتمثلة في الحجاب.

***صورة المرأة المغتصبة:** طرحت المخرجة من خلالها نموذج آخر من المعاناة التي مرت بها المرأة الجزائرية في فترة العشرية السوداء والتي تجاوزت العنف الممارس عليها من الجماعات الإرهابية، لتواجه عنف ورفض آخر من طرف المجتمع مرة ثانية. حيث تصور المخرجة فتاة في سن العشرينيات هاربة من مجموعة إرهابية كانت قد اختطفتها لمدة طويلة ومارست عليها جميع أنواع التعذيب وصولا للاغتصاب الذي أبرزته ملامح

الخوف والحزن البادية على وجهها، وآثار التعذيب على كامل جسدها، تتجه الفتاة إلى بيتها أين تصدم برفض والدها عودتها للمنزل، وقد ركزت المخرجة على معاناة المرأة المغتصبة التي يحملها المجتمع ثمن خطأ لم ترتكبه، فتتعمق به معاناتها النفسية أيضا.

الملاحم العامة للمرأة في فيلم رشيدة:

كانت والددة رشيدة هي الأقرب لتمثيل المرأة الجزائرية من حيث القيم والسمات التي تحملها، والمحافظة على الواجبات الدينية المختلفة، اللباس الذي يعكس لباس المرأة الجزائرية المحافظة، أما الملاحم والسمات التي جسدتها شخصية رشيدة فهي لا تنطبق مع حقيقة المرأة الجزائرية خاصة في ذلك الوقت، فرشيدة بما تحمله من قيم غربية- مرافقة خطيبها للبحر - اللباس العاري في البحر- رفض الحجاب- تشكل قيم بعيدة عن المجتمع الجزائري المحافظ.

6- تمثيلات المرأة في السينما المعاصرة:

حملت بداية الألفية للجزائر عودة نسبية للأمن و الاستقرار في البلاد، مع قانون المصالحة الوطنية، و واكبت السينما هذه التغيرات السياسية في البلاد وأنتجت العديد من الأفلام المختلفة حيث تعددت الاتجاهات في السينما الجزائرية المعاصر بين السياسي، والواقعي الاجتماعي، وحتى الثوري لكن بطريقة مختلفة تماما عن سابقتها،" كما حظيت المرأة وقضاياها، باهتمام المخرجين في الألفية الثالثة بنظرة جديدة نابغة من روح العصر ويتناولهم لقضايا حساسة بل وتعد من الطابوهات في المجتمع الجزائري والتي لم تكن متناولة سابقا مثل ظاهرة الاغتصاب، الدعارة، من بين هذه الأفلام "ما وراء المرأة" لنادية شرابي،¹⁴.



6-1- فيلم "ما وراء المرأة":

صوّر الفيلم حياة البطلة التي وقعت ضحية الاغتصاب من طرف زوج والدتها وأنجبت على إثرها طفلا، فبقيت أسيرة الحقد على الماضي والخوف من المستقبل،¹⁵ تفشل سلمى في مصارعة الحياة في الشارع رفقة ابنها الذي حملت به على اثر حادثة الاغتصاب، فتقرر تركه لسائق سيارة أجرة ثم تمضي في الشارع العنف اللفظي والجسدي الذي تتعرض لها سلمى

في الشارع. وتقول المخرجة إن موضوع الذي قامت بطرحه من خلال الفيلم، يكشف العديد من التجاوزات التي تعيشها المرأة في الواقع، وخاصة الأم العازبة التي يواجه لها أصابع الاتهام دون الإطلاع على الحقيقة الكاملة.¹⁶

صورة المرأة في فيلم ما وراء المرأة:

***المرأة المغتصبة المعنفة:** يسرد الفيلم نظرة المجتمع للمرأة المغتصبة ومعاناتها ومستويات العنف الذي تتعرض له من خلال شخصية "سلمى" الفتاة الجميلة التي تتعرض لاعتداء جنسي من طرف زوج والداتها، في حين أن والدتها ترفض تصديقها وتطردها إلى الشارع الذي تتعرض فيه لأشكال مختلفة من العنف.

- "سلمى" تتعرض للعنف في المرة الأولى من أفراد عائلتها: زوج أمها الذي اغتصبها، ومن والدتها التي رمتها إلى الشارع.

- لتصطدم بواقع أكثر عنف وقسوة في الشارع، تتعرض سلمى لعدة مضايقات وتحرشات جنسية، وحين تعتقد سلمى أنها وجدت من ينفذها من الشارع تتفطن أنها خدعت للانضمام لشبكة دعارة فتبدي رفضها التام الانضمام لهذه الشبكة ما يعرضها إلى عنف جسدي كبير مرة أخرى من طرف رئيس العصابة، تهرب سلمى مرة أخرى من هذه العصابة لتجد في الأخير الأمان عند رجل يقدم لها المساعدة ويوفر لها عملاً لائقاً، لتندمج من جديد في المجتمع وتسعى لاسترجاع ابنها، وقد ركزت المخرجة في الفيلم على تقديم العديد من الرسائل الضمنية والصريحة من خلال شخصية سلمى والتي تدعو لضرورة نبذ العنف الممارس على المرأة الجزائرية، إعطاء فرصة للمغتصابات من خلال إعادة إدماجهن في المجتمع وإنصافهن..

***المرأة المثالية الصبورة:** من خلال شخصية خالتي دوجة المرأة التي ترعى ثلاث أيتام كمال، نسرين وحكيم، وتضيف إليهم الرضيع ابن سلمى، خالتي دوجة هي أخرى نموذج من نساء ظلمهم المجتمع إذ أن زوجها تركها لأنها لا تتجرب الأطفال، إلا أن خالتي دوجة استطاعت التغلب على الظلم المجتمع وكرست حياتها لرعاية الأيتام والاهتمام بهم، تمتاز شخصية خالتي دوجة بالطيبة والهدوء.

***المرأة الضحية:** كما رصد الفيلم معاناة المرأة الجزائرية التي تعاني من ظلم المجتمع وتسلطه، من خلال الفتاة التي تعمل في إحدى شبكات الدعارة، وقد ساقطت المخرجة العديد من المبررات للتعاطف مع هذه الفتاة ووضعها في خانة الضحية التي أجبرتها الظروف على سلوك هذا الطريق وظهر ذلك من خلال حديثها مع سلمى أين أخبرتها أن أخوها هو من رماها للشارع الذي لم يرحمها، فضلت امتهان الدعارة مقابل العيش الكريم في المنزل بدل الشارع، وأيضاً من خلال حوارها حين حاولت التخفيف على سلمى: "في الأول تجيك صعيبة كيما أنا"، وتروي لها المصير المأساوي لفتاة أخرى عارضت رغبة صالح في الانضمام إلى الشبكة، فقد ركزت المخرجة من خلال هذا الحوار على تبرئة الفتاة من هذه السلوكيات وتوجيه أصابع الاتهام للمجتمع الذكوري الذي سبب معاناتها بداية من أخيها ثم الشارع إلى صالح الذي يقوم باستغلالها.

***المرأة العانس:** ظهر هذا النموذج بصفة عارضة من خلال شخصية الفتاة التي تحاول التقرب من كمال، إلا أن هذا الأخير لا يعيرها اهتمام، وكذا من خلال العارضة الفتاة الشابة التي تحلم بالزواج.

الخاتمة:

تعددت النماذج النسائية التي عبرت عن شخصية المرأة في السينما الجزائرية بين المرأة العاملة، المرأة المغتصبة، المرأة المعنفة، المرأة المتحررة، إلا أن النموذج الأكثر ظهوراً في الأفلام السينمائية هو المرأة المضطهدة الخاضعة حيث تكرر هذا النموذج في جل الأفلام التي تناولتها الدراسة، وقد تنوعت قضايا و مواضيع المرأة التي طرحت في السينما الجزائرية، تبعاً لتغير السياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع الجزائري عبر الفترات الزمنية المختلفة التي مر بها إنتاج الأفلام السينمائية -عينة الدراسة-، فقد كانت البداية بالتركيز على مشاركتها في الثورة التحريرية الكبرى في سينما الستينيات، وضرورة تحريرها من القيود الاجتماعية وخروجها للعمل في سينما السبعينات، إلى ووضعية المرأة ومعاناتها في العشرية السوداء، وصولاً لتناول قضايا أكثر جرأة تمثلت في زنا المحارم و الأمهات العازبات في السينما المعاصرة، وجسدت الأفلام السينمائية الجزائرية شخصية المرأة بسمات أغلبها إيجابية ترمز لهوية المرأة الجزائرية الأصيلة، بينما ارتبطت السمات السلبية للمرأة في السينما، فيما يخص علاقتها مع الرجل من حيث الخضوع والضعف.

8. الهوامش:

¹ - منصور كريمة: اتجاهات السينما في الألفية الثالثة، أطروحة دكتوراه في الفنون الدرامية، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013، ص6.

² - نايلي نفيسة: السينما المغاربية، المؤسسة العربية للتربية والعلوم، المركز العربي للنشر، مصر، 2019، ص153.

³ - محمد منير حجاب: الموسوعة الإعلامية، دار الفجر، المجلد الخامس، 2003، ص189.

⁴ - إبراهيم برلال: التمثيلات الجندرية وعلاقتها بتعنيف المرأة بالمغرب، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 63، ص43.

⁵ - نريمان حداد، سامية جفال: تمثيلات الحركة النسوية العربية عبر الفيسبوك، مجلة دراسات وأبحاث، الجزائر، العدد 2018، ص4، ص914.

⁶ - رزين محمد: الخطاب الفيلمي وعناصر تشكله، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، الجزائر، العدد 09، 2018، ص154.

⁷ - لخضر حامين، فيلم ربح الأوراس، 1966.

⁸ - قادري وليد: صورة الإسلاميين في السينما المصرية، رسالة ماجستير في الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص104.

⁹ - بلية أحمد بغداد: فضاءات السينما الجزائرية، منشورات ليجوند، الجزائر، 2011، ص86.

¹⁰ - بلية أحمد بغداد، نفس المرجع، ص88.

¹¹ - محمد بوعماري: فيلم الفحام، 1972.

- ¹²-عواطف زراري: صورة المرأة في السينما الجزائرية، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون، الأردن دار النشر، 2015، ص- ص 84-85.
- ¹³- مجموعة من المؤلفين، الإرهاب والسينما، مدارك إبداع، نشر، ط2010، 1، ص 45.
- ¹⁴- منصور كريمة: مرجع سبق ذكره، ص-ص 133-134.
- ¹⁵- مسادي: جزائريات تمردن على الرجال فسقطن في مطبات سياسية، أربعون عاما من وجودهن في السينما الجزائرية، 2009، متاح على الرابط: <https://www.djazairess.com/eloumma/>
- ¹⁶ - نايلي نفيسة: مرجع سبق ذكره، ص 185.